بالعصبية، مداومة بالخصومات والمفاخرات وكانت الحروب بينهم مستمرة بحيث أصبحت شاغلة لحياتهم، ومدار معيشتهم، ورحلاتهم، سوى في الأشهر الحرم الأربعة المعروفة، التي كانت تعدّ أيام الهدنة، طبقاً لسنّة قديمة بينهم، وذلك لإيفاء متطلبات المعيشة، وفرصة للتجارة والعبادة عند الكعبة، أو للاجتماع في «عكاظ» للمحاورات الشعرية والأدبية، وأما في بقية الأوقات فكانوا في حالة «حرب» أو تأهب لها. من هذا الصراع الدائم نشأت تحالفات جمّة وعهود مختلفة بين القبائل، أوجبت اهتمامهم بالثّبات والوفاء للعهد، والاحتراز عن خلف الوعد ونقض المواثيق. كما سبّبت إيقاظ روح الحماسة والشجاعة والفداء بينهم. وتلك الخصلة الحسنة أي الوفاء بالعهد استفاد منها الإسلام كغيرها من الخصال المذكورة كما اعترف بالأشهر الحرم طلباً للسلام بين المسلمين وبين خصومهم. وقد ربّت الحياة الصحراوية وعدم الانقياد لحكومة واحدة في نفوسهم حبّ التحرر والإباء وعلو الهمة والرفعة، وعدم الخضوع لغيرهم من المتغلّبين وأرباب القدرة. ومن ناحية أخرى فتلك الحروب الدامية أضعفت بنيتهم الاقتصادية وسبّبت التخلف في الحياة، وتزايدت بها البؤساء واليتامى والأيامى والإسراء والمحرومين عندهم، يبدون للعيان في كل مكان. أمّا الطبقات المرفّهة فكان أكل الربا أضعاف مضاعفة والمقامرة والإدمان على الخمر والفحشاء ومبادلة الأزواج شايعة بينهم وكذلك الفواحش ذوات الرايات وأطفال الحرام وأولاد الزنا والمردّدون بين عدّة آباء.